ايها المركب فوق الجفن واقف

لم ازل فوق دمي

يا ايها المركب واقف

وبدون تطويل في الاستقصاء يمكن القول ان صور المياه المتحركة تعطي الاحساس الفلسطيني بجريان الاحداث في الزمان ، اما المياه الاسنة فغالبا ما تدل على ركود الزمان العربي .

هذا هو عالم معين بسيسو ، خشن ، فج ، منغلق على صراع دام وهمجي ولا نهاية مرتقبة . خال من اي تعلل بالاماني ، من اي وعد بشري او الهي . فهو مثل الامر المطلق « الكانتي » ، جزاؤه في فضيلته ذاتها وليس في شيء خارج عنها ، تخوض الصراع ، تثبت في المعركة ، فتنتقل الى صراع آخر ومعركة اخرى الى ان تموت ، فينبت مقاتل اخر يحتل مكانك . هذا ما بدا به معين بسيسو شعره في نشيد المعركة عام ١٩٥٢ :

انا ان سقطت فخذ مكاني يا رفيقي في الكفاح

واحمل سلاحي لا يخفك دمي يسيل من السلاح

وانظر الى شفتي اطبقتا على هوج الرياح

وانظر الى عيني اغمضتا على نور الصباح

انا لم امت ، انا لم ازل ادعوك من خلف الجراح

وهذا ما انهاه في ديوانه الاخير في قصيدة « مجنون تل الزعتر » عام ١٩٧٥ التي لا ينتهي اعجاب الناقد بالحمى والجنون فيها :

ايها التل العظيم هذي لحظة انتصارنا

فكلما تسافر السكين في رقابنا

تخرج الاشجار من اجسادنا

وبين هاتين القصيدتين على مدى ربع قرن عشرات القصائد تؤكد حقيقة واحدة : المعركة مستمرة ، سواء اكان الشاعر (في الطريق الى الزنزانة) عام ١٩٦٦ :

انا الآن بين جنود الطغاة

انا الآن اسحب للمعتقل

وما زال وجه ابي مائلا

أمامي .. يسلحني بالامل

وأمي .. وأمي ... أنين طويل